

الزلزال

هَكَذَا الْأَرْضُ بِالْفَجَائِعِ حُبْلَى
وَالْمَآسِي، وَبِالرِّزَايَا الْجِسَامِ
كَلَّمَا ضَاقَ صَدْرُهَا عَنْ خَبَايَا
نَفَثَتْهَا زَلَايَا كُلَّ عَامٍ !
فِي حَشَاهَا الْأَضْدَادُ مَاءً وَنَارُ
لَمْ تَزَلْ مُنْذُ أُجِحتْ فِي اضْطِرَامِ
وَكُنُوزُ دَفَاقَةِ فَجَّرتَهَا
فِي سَخَاءِ مَوْصُولَةِ الْإِنْعَامِ
وَخَبَايَا مِلءَ الثَّرَى تَتَحَدَّى
أُعْيِنَ الْعِلْمَ فِي تَخُومِ الظَّلَامِ
هِيَ عِنْدَ الرِّضَى مَنَابِعُ خَيْرِ
لِبِنِيهَا وَمَصْدَرُ الْإِلَهَامِ
تَمْنَحُ الحُبَّ وَالْحَيَاةَ وَتَسْقِي—
نَا الْمَنَايَا مَشُوبَةً بِالسَّلَامِ
مَنْ يَعِشُ فَوْقَهَا يَعِشُ فَوْقَ بُرُ
كَانَ رَهيبَ اللَّطَى بِغَيْرِ صَمَامِ !

* ● *

كَمْ أَطَاحَتْ هَزَاتُهَا بِقُصُورِ
وَمَغَانٍ وَخَلْفَتِ مِنْ رُكَّامِ !
وَلَكُمْ رَوَّعَتْ شَيْوِخاً وَأَطْفَا
لَا ضِعَافاً تَعِيشُ تَحْتَ الْخِيَامِ
وَطَوَى هَوْلَهَا شُعُوبَ حَضَارَا
تِ تَوَالَّتِ مِنْ عَهْدِ سَامٍ وَحَامِ
زُلْزَلَتْ تَحْتَهُمْ فَعَادُوا إِلَيْهَا
وَاحْتَبَسُوا وَتَهُمْ كَأَوْسَعِ الْأَرْحَامِ
كَمْ مَشَوْا فَوْقَهَا طَوَاوِيسَ تَخْتَا
لُ وَعَاشُوا فِي الْأَرْضِ كَالْأَصْنَامِ !
رُبَّ طِفْلِ قَدْ كَانَ قُرَّةَ عَيْنِي
وَالْبَدِيءِ أَضْحَى مِنَ الْإِيْتَامِ
مَا رَأَى الْأَرْضَ وَهِيَ تَرْقُصُ يَوْمَاً
فِي جُنُونٍ تَهْدُ كُلَّ مُقَامِ
مَا رَأَى النَّاطِحَاتِ وَهِيَ كَأُورَا
قِ خَرِيفٍ تَخِرُّ لِإِلْأَقْدَامِ !
مَا رَأَى الْحَشْرَ قَبْلَ مَوْعِدِ حَشْرِ
وَابْتِلَاعِ التُّرَابِ لِإِلْأَقْوَامِ
فِي ثَوَانٍ بَدَا بِهَا كُلُّ شَيْءٍ
غَيْرَ شَيْءٍ، وَاخْتَلَّ كُلُّ نِظَامِ !

أُخْرِسْتُهُ الْمَأْسَاءُ وَانْهَارَ حُزْنًا
مُنْذُ رَأَى مَنْ يُحِبُّ تَحْتَ الْحُطَامِ
أُخْرِجُوا أُمَّهُ وَلَوْ رَجِمُوهُ
تَرَكَوَهَا فِي ظِلْمَةِ الْأَكْوَامِ !
وَحَبِيبَيْنِ شَيِّدًا عَشَّ حُبِّ
دَافَى الْحِضْنِ رَائِعَ الْأَحْطَامِ
خُسِفَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَا عَلَى مَهْمَا
سَدِ وَمَاتَا وَالْحُبِّ فِي الْأَكْمَامِ !
وَمُسِنٍ مَشَى بِهِ الْعُمُرُ أَحْقَا
بَاءً وَقَاسَى فَجَائِعِ الْأَيَّامِ
لَمْ يَمُتْ فِي حَرْبٍ، وَلَا مَاتَ مَهْمُو
مَاءً وَلَمْ يَشْكُ جِسْمُهُ مِنْ سَقَامِ
قَدْرًا كَانَ أَنْ يَمُوتَ بِلَا أَهْمَا
لِ وَيَمْشِي لِلْقَبْرِ دُونَ احْتِرَامِ !
كَمْ غَنِي طَوْتُهُ فِي لَحْظَةِ الْعَيَا
نِ وَمَا شَادَهُ مِنَ الْأَهْرَامِ
مَرَّ طَيْفًا وَلَمْ يَعُدْ غَيْرَ رَقْمِ
فِي الضَّحَايَا كَسَائِرِ الْأَرْقَامِ !
وَأَخِي كِبْرِيَاءَ شَامِخِ أَنْفِ
مَرَّعَتْ كِبْرَ نَفْسِهِ فِي الرَّغَامِ !

وَنَوَادِ لِلْأُنْسِ عَادَتِ قُبُوراً
لَيْسَ فِيهَا مِنْ عَادَةٍ أَوْ مُدَامِ
نَعَبَ الْبُومِ فِي مَقَاصِيرِهَا الْحُمِ
— وَحَلَّتْ بِهَا نُسُورُ الْحِمَامِ !

* ● *

أَهُوَ الْخَسْفُ ؟ قَدْ تَوَالَى نَذِيراً
وَعَقَاباً لِعَالَمِ الْإِجْرَامِ
أَمْ تَرَاهُ الدَّوَاءَ مِمَّا تُعَانِي
هَذِهِ الْأَرْضُ مِنْ أذى وَازْدِحَامِ ؟
لَكَأَنِّي بِهَا وَقَدْ عَاثَ مَنْ فِيهِ
— هَا فَسَاداً أَوْ غَاصَ فِي الْأَثَامِ
فَقَدْتُ صَبْرَهَا ! وَلَمْ تَتَحَكَّمِ
وَهِيَ غَضَبِي - أَعْصَابُهَا فِي الزِمَامِ
رُبَّ دَاءٍ يَكُونُ فِيهِ دَوَاءً
وَوُجُودٍ يُتَّاحُ بَعْدَ انْعِدَامِ
وَلَقَدْ تَقَرَّعُ الطُّبُّوْلُ فَتَضَحُّو
عِنْدَ دَقَّاتِهَا عُقُولُ النِّيَامِ !
وَلَقَدْ تَنْذَرُ السَّمَاءُ فَيُصِغِي
لِنِدَاهَا مَنْ ظَلَّ كَالْأَنْعَامِ !